الغيبة

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والثقافية

الغِيبة

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ
أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ

سورة الحجرات: آية ١٢

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد و على أهل بيته الطاهرين ولا سيما بقية الله في الأرضين عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أشياعه وأتباعه والذابين بين يديه

من علامات تردي الأمة.. ابتعادها عن دينها وعدم تطبيق الأوامر والنواهي الإلهية في الحياة العامة وإبقاء الالتزام الديني داخل المساجد فقط لتبدأ مرحلة جديدة تحارب هذا الالتزام داخل المساجد لتنتهي المرحلتين بنتيجة أن الأمة بلا دين ويلازم ذلك كل أنواع الظلم والفقر والتخلف والضعف وكل الامراض التي يراها البشر وهي تنخر جسد الأمة ويأتي باحث لا يفقه معنى الدين لينسب كل هذا التقهقر للدين بينما السبب الرئيسي له هو الابتعاد عن الدين هذا الابتعاد الذي لا يحصل دفعة واحدة بل يحصل على شكل دفعات وقد أخبر الرسول الأكرم ﷺ أمته عن هذه الدفعات وحذر منها فقال ﷺ «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا

رسول الله؟ فقال: نعم وشر من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم وشر من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا»[1]، وأنت ترى أن المرحلة الأخيرة من التردي هي مرحلة انقلاب الموازين «رؤية المعروف منكر ورؤية المنكر معروف» ولا نفرط إن قلنا أن الأمة وصلت إلى هذه المرحلة إلا القليل وإن كان على مستوى العمل دون مستوى التنظير فكل من يرمي بصره ويفتح سمعه داخل المجتمع الإسلامي «أو الذي يسمى إسلامي» فسيجد أكثر أوامر الله متروكة ونواهيه متوافرة متكاثرة تُفعل بلا أدنى نكير من أحد والمثال البارز لذلك آفات اللسان وما أكثرها ومن أبرزها الغيبة التي عدت عند البعض أنها كالملح بالطعام وعدت عن آخرين فاكهة المجالس فلا يمكن أن تتصور كلاما بلا غيبة ومجلساً خاليا منها مع شدة النكير الصادر من المولى والمعصومين عليهم السلام منها وفي هذا البحث نسلط الضوء على ذلك نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به..

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ١٦ / ١٢٢.

حرمة المؤمن

لا نجد تشريعا أعطى أهمية للإنسان المؤمن مثل الإسلام فإن الإنسان بنظر الإسلام هو خليفة الله على الأرض وقد نال

هذا الخليفة التكريم الإلهي ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[١] ف«الإنسان يختص من بين الموجودات الكونية بالعقل ويزيد على غيره في جميع الصفات والأحوال التي توجد بينها والأعمال التي يأتي بها وينجلي ذلك بقياس ما يتفنن الإنسان به في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه ومنكحه ويأتي به من النظم والتدبير في مجتمعه، ويتوسل إليه من مقاصده باستخدام سائر الموجودات الكونية، وقياس ذلك مما لسائر الحيوان والنبات وغيرهما من ذلك فليس عندها من ذلك إلا وجوه من التصرف ساذجة بسيطة أو قريب من البساطة وهي واقفة في موقفها المحفوظ لها يوم خلقت من غير تغير أو تحول محسوس و قد سار الإنسان في جميع وجوه حياته الكمالية إلى غايات بعيدة ولا يزال يسعى ويرقى»[٢].

ومن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان عامة والمؤمن خاصة

---

(١) (٧٠ الإسراء)

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ١٣/ ١٥٧.

تسخير ما في السموات والأرض لخدمة الإنسان وكثرة النعم الإلهية عليه..

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (١).

ومعنى « سَخَّرَ لَكُمْ» لأجلكم لأن من جملة ذلك التسخير ما هو منافع لنا من الأمطار والرياح ونور الشمس والقمر ومواقيت البروج والمنازل والاتجاه بها، والخطاب في «أَلَمْ تَرَوْا» يجوز أن يكون لجميع الناس مؤمنهم ومشركهم لأنه امتنان، ويجوز أن يكون لخصوص المشركين باعتبار أنه استدلال. والاستفهام في «أَلَمْ تَرَوْا» تقرير أو إنكار لعدم الرؤية بتنزيلهم منزلة من لم يروا آثار ذلك التسخير لعدم انتفاعهم بها في إثبات الوحدانية، والرؤية بصرية، ورؤية التسخير رؤية آثاره ودلائله، ويجوز أن تكون الرؤية علمية كذلك، والخطاب للمشركين كما في قوله «خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها»، وإسباغ النعم: إكثارها، وأصل الإسباغ: جعل ما يلبس سابغا، أي وافيا في الستر. ومنه قولهم: درع سابغة. ثم استعير للإكثار لأن الشيء السابغ كثير فيه ما يتخذ منه من سرد أو شقق أثواب، ثم شاع ذلك حتى ساوى الحقيقة فقيل: سوابغ النعم.

---

(١) (لقمان ٢٠).

والنعمة: المنفعة التي يقصد بها فاعلها الإحسان إلى غيره[١]، بل نستطيع القول أن كل أصول الدين فيها نوع تكريم للإنسان فالتوحيد يعني أن الإنسان لا يخضع ولا يعبد ولا يطيع إلا الله أما غيره فلا وهذا معناه أن يفك أسر العبد من عشرات العبوديات التي عرضها تأريخ البشر أما النبوة والإمامة فهما حلقتا الوصل بين الله سبحانه والبشر يوصل الأنبياء والأئمة من خلالها إلى البشر القوانين الإلهية والتي ترفع الاختلاف بينهم وترسم لهم حياة طيبة سعيدة والإيمان بالرجوع إلى الله سبحانه وتحمل مسؤولية العمل سواء كان خيراً أو شراً يكون داعيا لضبط سلوك الإنسان وعدم انحرافه يميناً وشمالاً والاعتقاد بالعدل الإلهي وأن الله لا يظلم أحداُ يحث الإنسان على العمل الصالح ويزجره عن العمل الطالح وإذا جئنا لفروع الدين نجد أن الصلاة المطلوبة شرعاً هي التي تنهي عن الفحشاء والمنكر «ومعنى نهيها عنهما، أنها سبب الانتهاء عنهما، لأنها مناجاة للّه تعالى، فلا بد أن تكون مع إقبال تام على طاعته، وإعراض كلي عن معاصيه.

قال ابن مسعود: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي اللّه، فمن لم تأمره صلاته بالمعروف، ولم تنهه عن المنكر، لم يزدد من اللّه إلا بعدا .. وروى عن أنس أن فتى من الأنصار، كان

---

(١) التحرير و التنوير، ج٢١، ص: ١١٧.

يصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي الفواحش، فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن صلاته ستنهاه، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله والخلاصة: أن من شأن الصلاة المصحوبة بالإخلاص والخشوع وبإتمام سننها وآدابها، أن تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، فإن وجدت إنسانا يؤدي الصلاة، ولكنه مع ذلك يرتكب بعض المعاصي، فأقول لك: إن الذنب ليس ذنب الصلاة، وإنما الذنب ذنب هذا المرتكب للمعاصي، لأنه لم يؤد الصلاة أداء مصحوبا بالخشوع والإخلاص وإنما أداها دون أن يتأثر بها قلبه .. ولعلها تنهاه في يوم من الأيام ببركة مداومته عليها، كما جاء في الحديث الشريف: «إن الصلاة ستنهاه»[1].

وفي الصوم وهو جوع وعطش جماعي إحساس بما يعاني الفقراء من جوع وعطش يؤدي إلى رحمتهم والشفقة عليهم من ضمن أمور يمكن عدها من أسباب وجوب الصوم ويمكن عد بعض الأسباب منها تربية الخشية من الله في النفس وكسر حد الشهوة والشعور بالفقراء والمساكين وتحقيق المساواة بين الغني والفقير وينظم المعيشة وضبط الإرادة ومفيد للصحة وا لجسم.

فإن الله غني مطلق لا يحتاج لعبادة العابد ولا لغيره أبداً فالعابد ينفع نفسه أولاً وينفع مجتمعه ثانياً وخاصة في

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١١/ ٤٣.

قضيـة سـد حاجة المحتاجـين بأداء الفـروض الماليـة كالزكاة فـ«هي فريضة اجتماعية، تؤدى في صورة عبادة إسـلامية، ذلك ليطهـر الله بهـا القلـوب من الشـح وليجعلها وشـيجة تراحم وتضامن بين أفراد الأمة المسـلمة، تندّي جو الحياة الإنسـانية، و تمسـح علـى جراح البشـرية و تحقق في الوقـت ذاته التأمين الاجتماعي والضمان الاجتماعي في أوسع الحدود.

وتبقـى لهـا صفـة العبـادة الـتي تربط بـين القلب البشـري وخالقـه، كما تربط بينه و بين الناس: «فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ» الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية، ويدبر أمرها بالحكمة: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾»[1].

وفـرض الله علـى النـاس الحـج ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ أي «أنّ على الناس الحجّ إلى هذه الأرض المقدّسة، ليروا منافع لهم بأم أعينهم. وقد ذكر المفسّـرون لكلمة المنافـع الواردة في الآية عدّة معـان، إلّا أنّه لا تحديـد لمعناها كما يبدو من ظاهر الآية، فهي تشـمل جميع المنافع والـبركات المعنوية والمكاسـب المادية، وكلّ عائد فردي واجتماعي و فلسفة سياسيّة واقتصادية وأخلاقية. فمـا أحـرى المسـلمين أن يتوجّهوا مـن أنحاء العـالم إلى مكّة ليشهدوا هذه المنافع! إنّها لعبارة جميلة! ما أولاهم أن يجعلهم

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٦٧١.

اللّه شهودا على منافعهم! ليروا بأعينهم ما سمعوه بآذانهم! وعلى هذا ذكر في كتاب الكافي حديثا عن الإمام الصادق عليه السلام في الردّ على استفسار ربيع بن خيثم عن كلمة المنافع، منافع الدنيا أو منافع الآخرة؟ فقال: «الكل»[١]، وحتى الأمر بقتال بعض الناس فيه جنبة إنسانية تكريمية، فعندما يأمرنا القرآن ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ فالآية «أمر بمقاتلة من بقي على شركه من مشركي مكة الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات، لأنه ما دام المشركون قائمين فالفتنة قائمة، والفتنة هي قتل للمسلمين، وعلى هذا فلا مهادنة مع المشركين «حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» «فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» أي فإن انتهوا عما هم فيه من شرك و دخلوا في دين اللّه، فقد دخلوا في السلم، لا ينالهم أحد بسوء إلّا من نكص على عقبه أو دخل الإسلام ليكيد له و لأهله»[٢]، وهكذا لو استعرضنا كل فروع الدين والأخلاق والآداب المندوب إليها نجد فيها هذه ا لجنبة «تشريف الإنسان وخاصة المؤمن» فلا شرافة ولا كرامة لمن أنكر وجود اللّه أو ادعى له شريك بل يخرج من حدود الإنسانية ويدخل حد البهيمة بل أضل سبيلاً وقد أكد هذا المعنى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فقد استنطق المسلمين في حجة الوداع «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قَالُوا هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ قَالَ

(١) الأمثل في تفسير كتاب اللّه المنزل ١٠/ ٣٢٤.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، ج١، ص: ٢١٤

أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا قَالُوا شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ إِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ثُمَّ أَعَادَهَا مِرَارًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ مِرَارًا قَالَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَوَصِيَّةٌ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَالَ أَلَا فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[1].

وإذا لاحظنا أن هذه الخطبة خطبها رسول الله ﷺ في حجة الوداع عرفنا التأكيد الكبير الذي أولاه ﷺ لحرمة المؤمن«ماله وعرضه ودمه» وفيه أيضاً تنبؤ بما يحصل في مستقبل الأيام من انتهاك هذه الحرمات والتي أكد عليها الإسلام كثيراً وفي عشرات من أحكامه.

(١) مسند أحمد بن حنبل٤/٤٦٤

الغيبة

لاحظنا أن الرسول الأكرم ﷺ من خلال خطبته وهو يودع أمته في حجة الوداع قد أكد على حرمة المؤمن وجعلها كحرمة اليوم الحرام في الشهر الحرام في البلد الحرام بل أكثر من ذلك.

«روي أن رسول الله ﷺ نظر إلى الكعبة فقال: مرحبا بالبيت ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله؟! والله للمؤمن أعظم حرمة منك، لان الله حرم منك واحدة، ومن المؤمن ثلاثة: ماله، ودمه، وأن يظن به ظن السوء»[١].

وفي هذا الحديث ووصيته في حجة الوداع جعل مال المؤمن ودمه وعرضه على حد سواء في الحرمة والقيمة ومعنى «العرض» هو شخصية الإنسان المؤمن وكرامته فجعلها جنباً إلى جنب الدم والمال ومن هنا نعرف قيمة حفظ شخصية الإنسان المؤمن وعدم المساس بها بكثير أو قليل وقد شرعت تشريعات كثيرة لحفظها وعدم المساس بها ومن أهم ذلك هو تحريم الغيبة، وقد لا نجد في القرآن الكريم تمثيلاً لعمل قبيح كالتمثيل الذي ذكره القرآن للغيبة، فقد نهى عن الغيبة ونفّر منها أشد التنفير في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ

---

(١) بحار الأنوار العلامة المجلسي ٦٤ /٧٢.

أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

ففي هذا الكلام تمثيل الاغتياب بأفضح مثال وأشدّه من حيث اشمئزاز الطباع ونفرتها، وفيه مبالغات: تقرير الاستفهام، محبّة المكروه، وإسناد الفعل إلى «أحد» إشعارا بأن لا أحد يحبّه، تمثيل الاغتياب بأكل لحم للإنسان، عدم الاقتصار بهذا وضمّ الموت بذلك وكونه أخا، الأمر بالاتّقاء بعد هذه كلّها. وهذه الأمور بأجمعها تدل على حرمة الغيبة بأشد ما تكون.

وفي قوله تعالى «فَكَرِهْتُمُوهُ» جملة متضمّنة للشرط، أي لو عرض عليكم ذلك لكرهتموه بحكم العقل والطبع، فاكرهوا ما هو نظيره فإن نظيره وإن كان الطبع يميل إليه لأنه لا يدرك إلّا الكراهة المحسوسة، والأمور المكروهة الحسيّة في نظر الشرع والعقل أشدّ من كراهة أكل لحم الإنسان الميّت، لأن المفاسد الّتي تترتب على النّظير لا تترتّب على المشبّه به أبدا كما لا يخفى على أهل العلم والبصيرة»[٢]، والملاحظ أن حرمة الغيبة جاءت بعد حرمة الظن السيء بالمؤمنين والتجسس على أسرارهم وخفاياهم وكل هذه الثلاث مسقطات لحرمة المؤمن وشخصيته وبينها ترتب فكأن المعنى (لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن، ثم إذا سئلتم على

---

(١) الحجرات /١٢.

(٢) الجديد في تفسير القرآن المجيد ٦/ ٥١٤.

المظنونات، فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها، ثم إن علمتم منها شيئا من غير تجسس، فلا تقولوه و لا تفشوه عنهم و لا تعيبوا، ففي الأول نهى عما لم أن يعلم، ثم نهى عن طلب ذلك العلم، ثم نهى عن ذكر ما علم»[١]، ولا نحتاج لتعريف الغيبة أن نشرّق أو نغرّب، بل نأتي للمفسر الأول للقرآن الكريم وهو الرسول الأعظم ﷺ فنسأله عن تعريفها ومعناها فنجد في وصيته لأبي ذر رضي الله عنه يقول «يا أبا ذر إياك والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا، قلت: يا رسول الله ولم ذاك بأبي أنت وأمي؟ قال: لأن الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها.

يا أبا ذر سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، قلت: يا رسول الله وما الغيبة ؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قلت يا رسول الله فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به ؟ قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته. يا أبا ذر من ذب عن أخيه المسلم الغيبة كان حقا على الله عز وجل أن يعتقه من النار. يا أبا ذر من اغتيب عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله عز وجل في الدنيا والآخرة، فان خذله وهو يستطيع نصره خذله الله في الدنيا والآخرة»[٢].

---

(١) مفاتيح الغيب ١١٢/٢٨.

(٢) بحار الأنوار العلامة المجلسي ٧٤ /٩٠.

ويستدل بهذا الحديث وأمثاله أن الغيبة من الكبائر فأحد طرق معرفة الكبيرة من المعاصي هو مقارنة الذنب المراد معرفته بذنب معروف بأنه من الكبائر والملاحظ أن الحديث لا يقارن الغيبة بالزنا بل يعتبره أشد، وتحدّث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عن «ذم الربا» حتى أنّه ذكر أنّ الدرهم من الربا أشدّ من ستة وثلاثين زنية ثم قال: «إنّ أَربا الرِّبا عِرضُ الرَّجُلِ المُسلِم»هذا التعبير الذي يقرّر أهميّة ووخامة الغيبة بالنسبة إلى الزنا حيث ورد في روايات متعددة وفي بعضها ذكر السبب في ذلك وهو: «أمّا صاحب الزنا فيتوب فيتوب الله عليه، وأمّا صاحب الغيبة فلا يتوب الله عليه حتى يكون صاحبه الذي يحلّه».

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «الغيبَةُ حَرامٌ عَلى كُلِّ مُسلِم وَأَنَّها لَتأكُلُ الحَسناتِ كَما تأكلُ النّارَ الحَطَبَ». وهذه الخصوصية تترتب على الغيبة وكما سيأتي في البحوث اللاحقة بسبب أن الغيبة تتعرض لحق الناس وبالتالي فإن حسنات المغتاب سوف تنتقل إلى صحيفة أعمال الشخص الآخر الذي وقع مورد الغيبة لجبران الخسارة والضرر الذي تحمّله من هذه الغيبة.

وجاء في حديث قدسي أنّ الله تعالى خاطب نبيّه موسى عليه السلام قال: «مَن ماتَ تائِباً مِنَ الغَيبَةِ فَهُوَ آخِرُ مَنْ يَدخُلُ الجَنَّةَ ومَن ماتَ مُصِرّاً عَلَيه، فَهُوَ أَوّلُ مَنْ يَدخُلُ النَّارَ». وفي حديث آخر عن

النبي الأكرم ﷺ نجد تعبيراً مذهلاً عن مخاطر الغيبة حيث قال: «مَن مَشى في غيبَةِ أَخيهِ وَكَشفِ عَورَتِهِ كانَ أَوَّلَ خُطوَة خَطاها وَضَعَها في جَهَنّم»، وفي حديث آخر عنه ﷺ أيضاً أنّه قال: «ما عُمّرَ مَجلِسٌ بالغيبَةِ إلاّ خُرِّبَ بالدِّين فَنَزِّهُوا أَسمَاعَكُم مِنْ اسْتِماعِ الغَيبَةِ فَإِنَّ القائِلَ وَالمُستَمِعَ لَها شَريكَانِ في الإثْم»، وفي حديث آخر أيضاً عن رسول الله ﷺ يتحدّث فيه عن الأضرار المعنوية الكبيرة للغيبة قائلا: «مَن اِغتابَ مُسلِماً أَو مُسلِمَةً لَمْ يَقْبَلِ اللهُ صَلاتَهُ وَلا صِيامَهُ أَربَعِينَ لَيلَةً إلاّ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ صاحِبُهُ»، ونقرأ في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن رَوى عَلى مُؤمِن رِوايَةً يُريدُ بها شَينَهُ وَهَدْمَ مُرُوَّتِهِ لِيَسْقُطَ مِنْ أَعيُنِ النّاس، وَأَخْرَجَهُ اللهُ مِنْ وِلايَتِهِ إلى وِلايَةِ الشَّيطانِ فَلا يَقْبَلُهُ الشَّيطانُ».

ومن الواضح أنّ المصداق البارز للرواية أعلاه هو الشخص المغتاب الذي يهدف من الغيبة إظهار عيوب المؤمنين المستورة ويعمل على هدم شخصيتهم الاجتماعية وإسقاطهم بين الناس، فعذاب مثل هؤلاء الأشخاص عظيم إلى درجة أنّ الشيطان نفسه يستوحش من قبول ولاية هؤلاء ويتبرأ من رفقته وصحبته.

وفي الحديث الوارد في مناهي النبي الأكرم ﷺ أنّه قال: «نَهى عَنِ الغيبَة وَقالَ مَنْ اغتابَ امرءًا مُسلِماً بَطَلَ صَومُهُ وَنَقَضَ

وَضُوءُهُ، وَجاءَ يَومَ القيامَةِ يَفُوهُ مِنْ فِيهِ رائِحَةٌ أَنتن مِنَ ا لجِيفَةِ يَتَـأَذَّى بِـهِ أَهلَ المَوقِـفِ» ونختم هذا البحـث بحديث عن أمير المؤمنـين عليه السلام رغـم وجـود روايـات كثـيرة أخرى في هـذا المجال ولكننا نكتفي بهذا المقدار الممكن من بيان عواقب الغيبة وآثارها الوخيمة الدنيوية والأخروية حيث يقول: «إيّاكَ والغَيبَةِ فَإنّها تُمقِتُـكَ إلى اللهِ والنّاسِ وَتَحبِطُ أَجرَكَ» ومن المعلوم أنّ حديثاً واحداً من هذه الأحاديث يكفي للإحاطة بأهميّة هذه المعصية وخطرها على واقع الإنسـان وحياته المعنوية فكيف لو ضممنا وجمعنا هذه الأحاديث بعضها إلى البعض الآخر؟»[1].

وبعـد كل هذه الأوصاف التي ذكرت في القرآن والسـنة للغيبة فهل يبقى مجال لأحد أن يتلفّظ بشيء من الغيبة في مجلس ينتهـي بعد دقائق ويتفرق ا لجمع وتبقى كل هذه التبعات التي ذُكرت في هذه الأحاديث من أكل الحسنات وأن صاحبها آخر من يدخـل ا لجنـة إن تاب منهـا والتوبة لا تكـون إلا برضى المغتاب والخروج من ولاية الله إلى ولاية الشـيطان ثم أن الشـيطان لا يرضى به إضافة إلى مقت الله والناس؟!.

(١) الأخلاق في القران٣/ ٨٢ بتصرف.

دوافع الغيبة وعلاجها

ما الذي يدفع الإنسان إلى اغتياب أخيه المسلم وقد مر بنا وصف القرآن لذلك أنه أكلُ لحم الأخ الميت المكروه لكل أحد، ومع كل الآثار الدنيوية والأخروية التي مرت بنا فلم يبق إلا عدم تقوى الله وعدم طاعته والاستجابة لدوافع غير مرضية عند المولى سبحانه كالحسد والأنانية والغرور والكبر والحرص والحقد وحب ا لجاه والرياء وغير ذلك ويجمعها قول الإمام الصادق عليه السلام: «أَصلُ الغيبَةِ تَتَنوَّعُ بِعَشرَةِ أَنواعٍ، شِفاء غَيظ وَمُساعَدَةِ قَوم وَتُهمَة، وَتَصدِيق خَبَر بِلا كَشفِهِ، وَسُوءِ ظَنٍّ وَحَسَد وَسُخريَّة وَتَعَجُّب وَتَبَرُّم وَتَزَيُّن، فَإن أَردتَ السَّلامَةَ فَاذكُر الخالِقَ لا المَخلُوقَ فَيَصِيرُ ذلِكَ مَكانَ الغيبَةِ عِبرَةً وَمَكانَ الإثمِ ثَواباً»[1]، فالمطلوب أن يجتث الإنسان كل هذه ا لجذور حتى لا تنبت تلك الشجرة المرة الخبيثة، ومن جهة أخرى أن من العجيب أن لا يخلو مجلس من مجالس المسلمين من الغيبة إلا ما ندر، مما يكشف عن ابتلاء هذه الأكثرية بهذه الأمراض التي هي جذور لمعصية، ويزداد العجب إذا عرفنا أن معاصري رسول الله صلى الله عليه وآله ممن أخذوا دينهم مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وآله قد اتصفوا بذلك أيضاً فقد «أخرج ابن أبى حاتم عن السدى إن سلمان الفارسي كان مع رجلين في سفر يخدمهما وينال

(١) بحار الانوار٧٢/٢٥٧.

من طعامهما وان سلمان نام يوما فطلبه صاحباه فلم يجداه فضربا الخباء و قالا ما يريد سلمان شيا غير هذا أن يجيء إلى طعام معدود وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يطلب لهما إداما، فانطلق فأتاه فقال يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك قال ما يصنع أصحابك بالإدم قد ائتدموا فرجع سلمان فخبرهما فانطلقا فأتيا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالا والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا، قال: إنكما قد ائتدمتما سلمان بقولكما، فنزلت أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً»[١].

ومثل ذلك وصف الرسول الأكرم ﷺ لكلمة خرجت من أحدى زوجاته على زوجة أخرى «حسبك من صفية كذا وكذا، قال غير مسدد: تعني قصيرة، فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» قالت: وحكيت له إنسانا، فقال: «ما أحب أني حكيت إنسان وأن لي كذا وكذا»[٢]، وقد فسر المناوي هذا الحديث «أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها كذا قرره النووي، وقال غيره: معناه هذه غيبة منتنة لو كانت مما يمزج بالبحر مع عظمه لغيرته فكيف بغيره قال

(١) الدر المنثور في تفسير المأثور، ج٦، ص: ٩٥

(٢) سنن أبي داود ٢ /٤٥٠.

النووي: هذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها وما أعلم شيئا من الأحاديث بلغ في ذمها هذا المبلغ»[١].

وفي حديث آخر يصف ﷺ الغيبة بأكل جيفة حمار ف(إن ماعز بن مالك جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد زنيت فأعرض عنه حتى قال أربعا فلما كان في الخامسة قال زنيت قال نعم، قال: وتدري ما الزنى؟ قال: نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا، قال: ما تريد إلى هذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والعصا في الشيء؟ قال: نعم يا رسول الله، قال: فأمر برجمه، فرُجِم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر إلى هذا ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسار النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ثم مر بجيفة حمار فقال أين فلان وفلان.. انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، قالا: غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا؟ قال فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه، والذي نفسي بيده إنه الآن في أنهار الجنة يتقمص فيها»[٢].

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥ / ٥٢٥

(٢) مسند أبي يعلى ١٠ / ٥٢٤.

ويمكننا الاستدلال من خطبة النبي ﷺ على انتشار هذه المعصية الكبيرة في زمانه فـ«عن البراء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق في بيوتها أو قال في خدورها فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»[١]، والملاحظ في كل هذه الأحاديث أن الرسول الأكرم ﷺ لم يجامل أحداً من المحيطين به أو يعتذر له باجتهاد أو غيره بل كان يصف أعمالهم بأشنع الأوصاف، وقد «مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فيعذب في البول، وأما الآخر فيعذب في الغيبة»[٢]، فلم يستثن المسلم المغتاب من عذاب القبر بسبب الغيبة إذ لو كان صاحب القبرين من غير المسلمين لكان سبب عذابهما هو الشرك أو عدم الإسلام.

(١) مجمع الزوائد ٨ / ٩٣.

(٢) سنن ابن ماجة ١ / ١٢٥.

أنواع الغيبة

عرفنا من ثنايا الكلام السابق أن الغيبة هي ذكر عيب الأخ المؤمن المستتر به ونضيف هنا أنه لا فرق بين كون الأخ حياً أو ميتاً فحرمة المؤمن وهو ميت كحرمته وهو حي، ولا فرق بين الفرد والمجموعة، إلا أن الثانية أشد وأثقل باعتبار رضاهم صعب الحصول عليه بخلاف رضا الفرد الواحد و«من أضرّ أنواع الغيبة غيبة المتسمين بالفهم والعلم المراءين فإنهم يفهمون المقصود على صفة أهل الصلاح والتقوى ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين؛ الرياء والغيبة، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بحب الرئاسة أو حب الدنيا أو بالتكيف بالكيفية الفلانية، أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء أو من سوء التوفيق أو نسأل الله أن يعصمنا من كذا بل مجرد الحمد على شيء إذا علم منه اتصاف المُحدَّث عنه بما ينافيه ونحو ذلك فإنه يغتابه بلفظ الدعاء وسمت أهل الصلاح وإنما قصده أن يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والرياء ودعوى الخلاص من الرذائل، وهو عنوان الوقوع فيها بل في أفحشها ومن ذلك أنه

قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا، وهو قلة الصبر، فيذكر نفسه بالذم و مقصوده أن يذم غيره وأن يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم، فيكون مغتابا مرائيا مزكيا نفسه فيجمع بين ثلاث فواحش وهو يظن بجهله أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة، هكذا يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعلم أو العمل من غير أن يتقنوا الطريق فيتبعهم ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم)[1].

وهناك تأكيد في كل النصوص على حرمة المؤمن فإذا كان صاحب العيب ليس مؤمنا فليس مشمول بهذا التعريف وكذلك من لم يكن مستتراً بالذنب بل متجاهراً بالذنب فلا حرمة له ولا ستر له حتى يكشف فهذا ليس بغيبة، فليس من هذا الباب غيبة الفاسق المعلن به المجاهر، فإن في الخبر «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له». وقال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس»، فالغيبة إذن في المرء الذي يستر نفسه.

---

(١) كشف الريبة/ ١٠.

وروي عن الحسن[١] أنه قال: ثلاثة ليست لهم حرمة: صاحب الهوى، والفاسق المعلن، والإمام الجائر. وقال الحسن لما مات الحجاج: اللهم أنت أمتّه فاقطع عنا سنته - وفي رواية شينه - فإنه أتانا أخيفش أعيمش، يمد بيد قصيرة البنان، والله ما عرق فيها غبار في سبيل الله، يرجل جمته ويخطر في مشيته، ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلاة. لا من الله يتقي، ولا من الناس يستحي، فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون، لا يقول له قائل: الصلاة أيها الرجل. ثم يقول الحسن: هيهات! حال دون ذلك السيف والسوط»[٢]، ويكون ليس داخلاً في معنى الغيبة أصلاً فلا يحرم.

---

(١) يقصد به الحسن البصري.

(٢) تفسير القرطبي ١٦ / ٣٣٩.

استثناءات

هناك موارد هي من الغيبة «بمعنى ذكر عيب الغير في غَيْبته» لكن استثناها الشارع المقدس من الحرمة وذلك في موارد:

أولا:

أن يقع على الإنسان ظلم من طرف فيضطر المظلوم إلى رفع ظلامته وذلك بذكر ما حدث من الظلم عليه بدون التجاوز على ذلك ﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ﴾ [1] فـ«إن الله لا يجيز لأحد أن يجهر بقول سوء كغيبة و سوق كلام مجّ خفيف إلا لمظلوم ظلمه إنسان فهو بجهره بقول السوء فيه يريد إبداء ظلامته، بأن يقول فلان أكل حقي أو غصبني مالي أو تعدى عليّ أو شتمني و نظير ذلك، فإنه جائز و هو من موارد جواز غيبة المسلم، و لو لم يكن فاسقا متجاهرا بفسقه «وَكانَ الله سَمِيعاً» لما يقوله هذا الجاهر «عَلِيماً» بمقاصده و خباياه هل أنّها عن داعٍ مشروع أو بداعي حسد و عداء و

(١) النساء ١٤٨-١٤٩.

رقابة و نظير ذلك، ثم أردف ذلك بما هو من ملاكه فقال «إِنْ تُبْدُوا خَيْراً» من قول أو عمل «أَوْ تُخْفُوهُ» عن الناس «أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ» و تصفحوا فإنكم تأسيتم بالله في مقام العفو عن المسيء و انتظرتم جزاء الله لكم عن فعل الخير الذي فعلتموه لأجل اللّه و لأجل الضمير «فَإِنَّ اللَّهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيرا» قديرٌ على مكافأتكم بأكثر ممّا تأملون»[1].

وكمثل لذلك قول الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام لمن ظلمها فقد قارنت عليها السلام بين جهاد أمير المؤمنين وبينهم، فذكرّتهم بمواقفهم في الحروب قائلة: «وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون عند القتال، فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم،

---

(١) التفسير لكتاب الله المنير ٢/ ٣١٤

وأوردتم غير شربكم ، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، وا لجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتدارا زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات منكم! وكيف بكم؟! وأنى تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟! بئس للظالمين بدلا، ومن يبتغِ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»[1].

ثانياً:

تتطلب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فضح من يعمل المنكرات وكشف سيئاته لردعه عن ذلك ونقرأ في تاريخ المسلمين الكثير من ذلك فمن ذلك «لما قدم خالد قال عمر: يا عدو الله قتلت امرءا مسلما ثم نزوت على امرأته، لأرجمنك، وفيه أن أبا قتادة شهد أنهم أذنوا وصلوا، وقال الموقري، عن الزهري قال: وبعث خالد إلى مالك بن نويرة سرية فيهم أبو قتادة، فساروا يومهم سراعا حتى انتهوا إلى محلة الحي، فخرج مالك في رهطه فقال: من أنتم قالوا: نحن المسلمون فزعم أبو قتادة أنه قال: وأنا عبد الله المسلم، قال: فضع السلاح، فوضعه في اثني عشر رجلا، فلما وضعوا السلاح ربطهم أمير تلك

(١) بحار الأنوار ٢٩ / ٢٢٥

السرية وانطلق بهم أسارى، وسار معهم السبي حتى أتوا بهم خالدا، فحدث أبو قتادة خالدا أن لهم أمانا وأنهم قد ادعوا إسلاما، وخالف أبا قتادة جماعة السرية فأخبروا خالدا أنه لم يكن لهم أمان، وإنما سيروا قسرا، فأمر بهم خالد فقتلوا وقبض سبيهم، فركب أبو قتادة فرسه وسار قبل أبي بكر. فلما قدم عليه قال: تعلم أنه كان لمالك بن نويرة عهد وأنه ادعى إسلاما، وإني نهيت خالدا فترك قولي وأخذ بشهادات الأعراب الذين يريدون الغنائم، فقام عمر فقال: يا أبا بكر إن في سيف خالد رهقا، وإن هذا لم يكن حقا فإن حقا عليك أن تقيده، فسكت أبو بكر. ومضى خالد قبل اليمامة، وقدم متمم بن نويرة فأنشد أبا بكر مندبة ندب بها أخاه، وناشده في دم أخيه وفي سبيهم، فرد إليه أبو بكر السبي، وقال لعمر وهو يناشد في القود: ليس على خالد ما تقول، هبه تأول فأخطأ»[1]، فترى صحابياً يصف آخر بأنه عدو لله ويتهمه بالزنا وقتل المسلم واستحقاقه القتل قصاصاً.

ثالثا:

قد يتطلب تحرك الأمة ضد أهل الأهواء والبدع فضحهم أولاً، وهتك حرمتهم وبيان باطلهم ثانيا، فيكون ذلك واجبا وليس من الغيبة المحرمة في شيء، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل الريب والبدع

---

(١) تاريخ الإسلام - ٣ / ٣٦

من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبهم، والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[١]، وخاصة إذا تصدى أهل البدع لمناصب رفيعة في الأمة مما يتيح نشر بدعهم فيكون وجوب الإظهار أشد خاصة على أئمة الدين، فهذا سيد الشهداء عندما يطلب منه أن يبايع يزيد فيرد على والي المدينة: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة»، ثم خرج[٢].

رابعا:

نُصح المستشير، لورود الأخبار الكثيرة في أنه يجب أن ينصح المؤمن أخاه المؤمن، ولقول النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس لما شاورته في خطابها، «معاوية صعلوك لا مال له وأبو الجهم لا يضع العصا عن عاتقه» قلت: لعل هذا وسابقه راجع إلى نصح المؤمن الذي أمر به في النصوص، من غير فرق بين سبق

---

(١) وسائل الشيعة ١٦ / ٢٦٧

(٢) الملهوف ص ١٧

الاستشارة وعدمها، لكن التعارض بين ما دل على حرمة الغيبة وبينها من وجه، ولعل الترجيح لها إلا أنه على إطلاقه لا يخلو من إشكال فالمتجه مراعاة الميزان في الموضوعات مع المحافظة على مقدار ما يتوقف عليه النصح، من غير تعدّ وتجاوز»[١]، وقد حاول البعض أن يدفع التهمة فقد حكى الرافعي أنه قيل: «إنه المذكور في حديث فاطمة بنت قيس قالت: إن معاوية وأبا جهم خطباني فقال النبي ﷺ: معاوية صعلوك لا مال له الحديث ليس هو معاوية بن أبي سفيان الذي ولي الخلافة بل هو آخر. قال النووي: وهذا غلط صريح فقد وقع في صحيح مسلم في هذا الحديث معاوية بن أبي سفيان والله أعلم»[٢]، وقد زاد العلامة الأميني على ذلك «عرفه مسلم بابن أبي سفيان في صحيحه ٤ : ١٩٥، وأبو داود في السنن ١ : ٣٥٩، والنسائي في سننه ٦ : ٢٠٨، والطيالسي في مسنده ص ٢٢٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ٤٧١ فالتأويل بغير معاوية بن أبي سفيان غلط صريح كما قاله النووي»[٣].

---

(١) جواهر الكلام ٢٢ / ٦٧

(٢) الاصابة٣/١٤٨

(٣) الغدير ١٠ / ١٤٥

خامساً:

عندما يطلب من الإنسان أداء شهادة أمام محكمة أو موقع تحكيم، فعليه إن يقول الحق وإن استدعى ذلك أن يذكر معايب الآخرين بحضورهم أو من دونه، وفي التاريخ الإسلامي الكثير من ذلك فقد «شهد على المغيرة بن شعبة أربعة نفر بالزنا فنكل زياد فحد عمر الثلاثة ثم سألهم أن يتوبوا فتاب اثنان فقبلت شهادتهما وأبى أبو بكرة أن يتوب فكانت شهادته لا تقبل حتى مات، وكان قد عاد مثل النصل من العبادة»[1]، فلاحظ إصرار أبي بكرة على شهادته وبذلك يكون الحاكم هنا قد «عطل حد الله تعالى في المغيرة بن شعبة لما شهد عليه بالزنا ولقن الشاهد الرابع الامتناع من الشهادة وقال له أرى وجه رجل لا يفضح الله به رجلا من المسلمين فلخلخ في شهادته اتباعاً لهواه فلما فعل ذلك عاد إلى الشهود فحدهم وفضحهم فتجنب أن يفضح المغيرة وهو واحد قد فعل المنكر ووجب عليه الحد وفضح ثلاثة مع تعطيله حكم الله ووضعه الحد في غير موضعه، أجاب قاضي القضاة بأنه أراد صرف الحد عنه واحتال في دفعه، قال السيد المرتضى رضي الله عنه كيف يجوز أن يحتال في صرف الحد عن واحد ويوقع ثلاثة فيه وفي الفضيحة مع أن عمر كان كلما رأى المغيرة يقول قد خفت أن يرميني الله تعالى بحجارة من السماء انتهى»[2].

---

(١) تفسير الصنعاني ٣ / ٥٢

(٢) إحقاق الحق ٢٤١

سادساً:

القدح في المقالات الباطلة، وإن أدى ذلك إلى نقص في قائلها، وقد صدر من جماعة كثيرة من العلماء القدح في القائل بقلة التدبر، والتأمل، وسوء الفهم ونحو ذلك، وكأن صدور ذلك منهم لئلا يحصل التهاون في تحقيق الحقائق»[1]، ومن ذلك هذه المقارنة اللطيفة لأحوال بعض المحاورين المسلمين فهو أسد في حلبات الحوار مع أهل الدين الإسلامي لكنه نعامة مع أعداء الدين فـ«من المفارقات الغريبة أن ترى فريقاً من الناس يمارس فنوناً من المداراة، والتودُّد، والظهور بمظهر النعامة، أو الحمل الوديع، المفعم قلبه بالرحمة والشفقة، حين يكون بصدد التعامل مع النصارى واليهود وغيرهم من أهل الأديان الأخرى، وحتى الوثنيين والعلمانيين، وقلَّما تجد لديه رغبة في الحوار مع أمثال هؤلاء، ولكنك تجده متلهفاً للانقضاض على أتباع أهل البيت.. المؤمنين بالله الواحد الأحد، وبرسول الله ﷺ، وبالقرآن، وبالمعاد.. ويصلّون الصلوات الخمس، ويحجون ويزكون، ويجاهدون في سبيل الله، ويلتزمون بأحكام الإسلام.. متفانياً في مهاجمتهم إعلامياً، في عقائدهم، وفي نهجهم،

(١) منهاج الصالحين/ السيد الخوئي ١ / ١٢

وتعاليمهم، لابساً لهم لبوس الجلّاد الشرس القاسي، فهو يحتدم، ويزمجر، ويتلظّى غضباً، فلا يدع كلمة سوء يقدر عليها إلا ويرميهم بها، ويهاجم بكل ما يقع تحت يده، من سيف، أو سوط، أو حجر، أو مدر.. ثم هو لا يكلّ ولا يملّ، ولا يهدأ، ولا يلين، ولا يقر له قرار، ولا يستكين، لا في ليل ولا في نهار، وكأن تمزيق أشلائهم، والولوغ في دمائهم هو شغله الشاغل، في قيامه وقعوده، وفي ركوعه وسجوده، وفي جميع حالاته»[1].

(١) ميزان الحق ١/المقدمة

وأخيرا..

بعد كل ما مرّ بنا من آية كريمة تصف الغيبة بأكل لحم ميت وهذا الميت هو «أخ»، وبعد وصف الغيبة بأحاديث عدة بأنها أكل للجيفة «جيفة حمار» وكل الآثار الدنيوية والأخروية وغير ذلك وبعد مقارنة هذا الذنب بالزنا تارة وبالربا أخرى والوعيد عليه بعذاب القبر أولاً وعدم دخول الجنة ثانياً يحتم علينا أمور:

١- أن يعمد الإنسان إلى الجذور التي تسبب هذه المعصية ويقلعها من قلبه حتى لا يتورط في هذه المعصية الكبيرة.

٢- أن يتعاون المجتمع في مكافحة هذه المعصية بأن يذكر بعضه البعض الآخر بضررها الاجتماعي والديني فهذا التعاون هو أجلى مصاديق فريضة النهي عن المنكر ومن ذلك هجران مجالس الغيبة.

٣- وهناك واجب ثانٍ هو الرد على المغتاب «والظاهر أن الرد غير النهي عن الغيبة، والمراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة، فإن كان عيبا دنيويا انتصر له بأن العيب ليس إلا ما عاب الله به من المعاصي التي من أكبرها ذكرك أخاك بما لم يعبه الله به، وإن كان عيبا دينيا وجّهه بما يخرجه عن المعصية، فإن لم يقبل التوجيه انتصر له بأن المؤمن قد يبتلي بالمعصية،

فينبغي أن تستغفر له وتهتم له، لا أن تعيّر عليه، وإن تعييرك إياه لعله أعظم عند الله من معصيته، ونحو ذلك ثم إنه قد يتضاعف عقاب المغتاب إذا كان ممن يمدح المغتاب في حضوره، وهذا وإن كان في نفسه مباحا إلا أنه إذا انضم مع ذمه في غيبته سمي صاحبه ذو اللسانين وتأكد حرمته، ولذا ورد في الأحاديث المستفيضة: أنه يجيء ذو اللسانين يوم القيامة وله لسانان من النار، فإن لسان المدح في الحضور، وإن لم يكن لسانا من نار، إلا أنه إذا انضم إلى لسان الذم في الغياب صار كذلك»[1].

٤- على من يتورط بهذا الذنب أن يسارع لصاحبه الذي اغتابه ويسأله العفو وإن فاته ذلك أو وجد حرجاً فعليه بالاستغفار له ولنفسه وعليه إصلاح ما أفسده إن كانت الغيبة على ملأ من الناس.

٥- على الإنسان المسلم أن يراعي تقوى الله في كل كلمة يتلفظ فيها.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك بمحمد وآله الطيبين الطاهرين إنه سميع مجيب

(١) المكاسب/ ٣٦٤

الفهرس

المقدمة ٣

حرمة المؤمن ٥

الغيبة ١١

دوافع الغيبة وعلاجها ١٨

أنواع الغيبة ٢٢

استثناءات ٢٥

وأخيراً ٣٣

إن حفظ قيمة شـــخصية الإنســـان المؤمن وعدم المساس بها بكثير أو قليل هو أمر طالبت به الشـــريعة، حتى أنها شـــرعت تشـــريعات كثيرة لحفظها وعدم المساس بها ومن أهم ذلـــك هو تحريم الغيبة.. وقد لا نجد في القـــرآن الكريم تمثيلاً لعمل قبيح كالتمثيل الذي ذكره القرآن للغيبة فقد نهى عنها ونفر منها أشد التنفير في قوله تعالى: (وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّـــهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحيمٌ).